

ما الذي حدث في 11 سبتمبر؟ تفكيكية داريدا للرؤية السائدة للإسلام

What happened on September 11? Derrida's deconstruction of the prevailing vision of Islam

فوزية ضيف الله*

1 جامعة تونس الأولى- المنار (تونس) dhifalahfaouzia@gmail.com

مخبر بحث المدرسة والآداب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة

تاريخ القبول: 2025/05/03

تاريخ الإرسال: 2024/09/07

ملخص:

سنحاول تحليل وجهة نظر الفيلسوف الفرنسي جاك داريدا من خلال كتابه ماذا حدث في 11 سبتمبر. يضم هذا الكتاب محادثة صحفية أجراها داريدا في 22 أكتوبر 2001 مع الصحفية جيوفانا بورادي ليتحدث فيها عن رؤيته وتحليله لأحداث 11 سبتمبر. وقد قامت الشاعرة المصرية صفاء فتحي بترجمة الكتاب، ونشره المجلس الأعلى للثقافة في 2003.

تمثل المحادثة تطبيقا جديدا لمنهج داريدا التفكيكي الألسني على الخطاب السائد عن 11 سبتمبر. فقد وجه اهتمامه إلى الظواهر اللغوية وظواهر التسمية والتاريخ محاولا فهم ما يحدث فيما وراء اللغة، وما الذي يدفع إلى هذا التردد اللانهائي "11 سبتمبر، 11 سبتمبر" عبر تفكيك مرادفات السيادة وجوهر الهيمنة والآلة المفهومية للخطاب الدولي السائد. فإننا بإزاء شيء استحدث تاريخا. وما يستحدث تاريخا هو شيء حدث بشكل فوري بوصفه حدثا عظيما فريدا، وهو شعور أقل عفوية مما يبدو، جرى إنشاؤه وصوغه وتشكيله عبر آلة تقنية -اجتماعية- سياسية قاهرة.

الكلمات المفتاحية: داريدا، 11 سبتمبر، الحدث، التفكيك، الاسلام

Summary:

We will try to analyze the point of view of the French philosopher Jacques Derrida through his book What Happened on September 11. This book includes a press interview conducted by Derrida on October 22, 2001, with journalist Giovanna Borradi, in which he discusses his vision and analysis of the events of September 11. The Egyptian poet Safaa Fathi translated the book, and it was published by the Supreme Council of Culture in 2003.

The dialogue represents a new application of Derrida's linguistic deconstructionist approach to the prevailing discourse on September 11. He focuses on linguistic phenomena, naming practices, and history, trying to understand what lies beyond language and what drives the endless repetition of "September 11, September 11." He deconstructs the synonyms of sovereignty, the essence of hegemony, and the conceptual machinery of the dominant international discourse. We are faced with something that has created history.

Keywords: Derrida, September 11, event, deconstruction, Islam

* المؤلف المرسل

تمهيد:

إن كان داريدا يعتبر الحادي عشر من سبتمبر "مجرد تاريخ ليوم"، فإنه لا يُنكر أنه "حدث لا ينسى"، "حدث لا يمكن محوه"، لكونه "حدثا غير مسبوق"، "حدثا مؤثرا وفريدا". ومهما تغيّرت التسميات، فإنّ هذا "الحدث" في نظر داريدا هو "شيء استحدث تاريخيا"، أي أنّه "جاء إلينا عبر وسيط هو آلة تقنية-اجتماعية-سياسية جبّارة"، وكان استحدثاته استحداثا في الزمان، لكونه كان قد حدث للمرة الأولى وللمرة الأخيرة. يظل هذا الحدث مستعصيا على التحليل وعلى التعريف رغم كونه حدثا عالميا، فكلّ ما يقدّمه داريدا للإجابة عن السؤال الأوّل هي مجرد افتراضات وتخمينات تجعل من هذا الحدث "حدثا مفترضا"، بمعنى أنّه يحسب على جهة معيّنة يفترض أنّها هي القابضة وراء تنفيذه، وتكون الوجهة الأقرب لهذا الافتراض هي "أعمال الإرهاب الدّولي". (داريدا، 2002، صفحات 51-52).

ميز جاك دريدا بين انطباعين :

فهناك من ناحية واجب الشفقة على الضحايا والنقمة على المجزرة وهناك من ناحية أخرى الانطباع المسؤول تجاه الحدث الذي تشكل إعلاميا والذي يقبل التأويل والتفكيك، أي هذا التقييم الخاص للشروط، والذي يحاول أن يجعلنا نؤمن بأن هناك حدثا عظيما جرى في 11 سبتمبر. أحال دريدا على مفهوم "الحدث" عند هيدغر، فالحدث يكمن قبل كل شيء في ألا أفهم وهو ما يؤدي حتما نحو استيعابه والتماثل معه والقدرة على تحديده وتأويله. فإذا كان الحدث الجدير بتسميته "حدثا عظيما" لا يتواجد إلا عندما تخور قوى هذا الاستيعاب أمام حدّ من الحدود التي تتمتع على الاستيعاب واستحالة التنبؤ به. فهل يعتبر حدث 11 سبتمبر حدثا لا سابق له؟ هل هو حدث لم يكن من الممكن التنبؤ به؟ هل هو حدث فريد حقا؟

ما المقصود بكلمة الحدث العظيم؟

لقد تحول الإرهاب إلى مصطلح متداول يطلقه كل فاعل على أعدائه، إنه اتهام متبادل استفاد من الخلط والفوضى الذين واكبا استخدام المفهوم المذكور. يؤكد دريدا بأنه يجب أن نتذكر أن التعبئة الإعلامية القصوى حول 11 سبتمبر كانت من المصلحة المشتركة لكل من قاموا بتنظيم العملية وكل أولئك الذين صمموا على إعلان الحرب على الإرهابيين باسم الضحايا. فقد كانت المصلحة مشتركة أفضل ما تكون عليه المشاركة بين الطرفين، فلم يقع الإرهاب الحقيقي إلا منذ اللحظة التي بدأ فيها عرض واستغلال أو إتاحة عرض واستغلال الصور التليفزيونية من قبل من كان هو الهدف نفسه.

سنعالج وجهة نظر جاك داريدا وفق المخطط التالي:

1- الانطباع الأمريكي "الحدث العظيم"

2- الانطباع المؤول "الحدث المعنى"

تبيّن تفكيكية داريدا أنّ هذا الحدث يكون فائق الوصف من جهة موقعه ومعناه، لكنّه يظلّ أمراً غامضاً "كبديّة بلا مفهوم"، كما لو أنّه وقع خارج اللغة، وخارج إمكانات التعبير، هو حدث "تسكت أو تُلجم أمامه اللغة". إنّهُ "المسكوت عنه" (L'ineffable) بلغة برغسون، الذي لا تستطيع اللغة أن تعبّر عنه فتكتفي بالإشارة إليه كتاريخ يقع اختصاره في التسمية التالية: "ما حدث في 11 سبتمبر". يُصبح هذا التاريخ حاملاً لمعان جمّة لكننا لا نقدر على تفكيكها والتعرّف عليها، إنّنا إزاء معنى مهمّ لاسم مهمّ، لذلك يكتب داريدا: "فهذا الاختصار للتسمية (September 11-9, eleventh) لا يرجع من ثمّ فقط إلى ضرورة اقتصادية أو بلاغية. بل إنّ البرقيّة التي تحمل كناية- والتي تتكوّن من مجرد اسم ورقم- إنّما تؤكد على الجانب غير القابل للوصف، عندما تقرّ بأننا لا نستطيع التعرّف: بل إنّنا لا نعرف ولا ندري بعد كيف نصف، لا ندري ما الذي نتكلّم عنه" (داريدا، 2002، صفحة 53).

تبيّن تفكيكية داريدا أنّ هذه التسمية تشير إلى حدث في اللغة قبل أن تدلّ على حدث في الواقع، لذلك ينبغي علينا أن نكرّره كتعويذة سحرية حتّى نتمكّن من فهمه. غير أنّنا لا ننفكّ نكرّره كلّما ازدادت معرفتنا به، وذلك راجع في تأويل داريدا إلى كوننا نتعوّد منه مرّات ومرّات، أو نطرد شراً مضاعفاً في كلمة واحدة. تُصبح هذه التسمية أو هذه الكلمة الدّالة على الحدث تعويذة ضدّ الحدث نفسه وضدّ الشعور المصاحب له. كما يدلّ هذا التكرار على ضرب من التحصين الروحي للذات، ذلك أنّ تكرار التسمية يؤدّي إلى الاستئناس بها والتعوّد عليها إلى الحدّ الذي يصبح شرحها وتفسيرها مستعصياً، فيتمّ التعويل على تكرار المشاهد التلفزيونية المشيرة إلّهما حالما تصبح اللغات عاجزة عن التكلّم في مضمونها. نبيّن إذن أنّ داريدا يتناول هذا الحدث كظاهرة لغوية قبل أن يتناوله كظاهرة حيّة، لأنّ ما يُحيل عليه كامن في طبّات اللغة نفسها. يكتب داريدا: "فنحن نكرّر، ونحن على مقربة شديدة من هذا الفعل اللغوي ومن هذا التعبير، لكي ننفي واقع أنّنا عاجزون عن أن نسوّي بشكل مناسب، وأن نُشخّص وأن نفكر في الشيء الذي نتحدّث عنه، وعن أن نتجاوز الإشارة البسيطة إلى التاريخ" (داريدا، 2002، صفحات 53-54).

يُفكّك داريدا هذا "الحدث" من جهة كونه "فعلاً لغويّاً" يتردّد ويتكرّر، فهل تكراره هو تكرار لازمة شعريّة، لصورة بلاغية أو لتعويضة سحرية؟ أم أنّه يجمع بين الكلّ في الآن نفسه؟ لا ينبغي التوقّف عند ظاهر التسمية لما تحتويه ضمناً من تخمة لغوية يتوجّب فضحها وتحليلها، لذلك يبحث داريدا في معانيها الكامنة فيما وراء اللغة ليستكشف مغزى هذا التكرار الذي يدلّ على معانٍ ما ليخفي في الأثناء معانٍ أخرى. (داريدا، 2002، صفحة 55).

لقد كان داريدا في نيويورك عندما أجري معه هذا الحوار، بعد ثلاثة أسابيع من وقوع الحدث. كما يُوَضَّح أنه كان في الصين يوم وقوع الحدث نفسه. لكن ماهو مُلِّفت للاهتمام هو أنه كان يشعر أن الحديث حول هذا "الحدث العظيم" بات أمرا مشروطا قبل الشروع في أي حديث غيره، كما لو أنه صار شرط الحصول على الحق في الكلام أصلا. فلكي تتمتع بحقك في الكلام، عليك أولاً القيام بواجب الحديث عن هذا الحدث وإن كان ذلك بطريقة عمياء وبلهاء. يمكن أن نورد هاهنا موقف داريدا الشخصي في التكلّم عن هذا الحدث إذ يقول: "إذ ليس فقط من المستحيل، بل إنَّ المرء ليشعر تماما، وسوف يُشعرونك بأنَّ من الممنوع، بأنك لن تحصل على الحق في بدء الحديث عن أي شيء أيا كان، خاصّة على الملأ، دون أن تُقدّم قربانا إلى هذا الواجب، دون أن تُشير إشارة شبه عمياء إلى هذا التاريخ" (داريدا، 2002، صفحة 54). فلماذا يصبح ترديد هذه التسمية ضربا من الواجب إن لم نقل ضربا من "القهر" للغة وللمتكلّم بها؟

1- الانطباع الأمريكي "الحدث العظيم":

ينظر داريدا إلى هذا "الحدث العظيم" من جهة كونه ظاهرة لغويّة قبل كونه "ظاهرة تاريخيّة"، ويبحث في دواعي كونه "انطبعا" قبل أن يمرّ إلى البحث في كونه "عظيما". فما هي ماهيّة هذا الانطباع؟ وما هي ماهيّة هذا "الحدث" الذي سعيّ بناء على هذا الانطباع "عظيما"؟ إنَّ هذا "الحدث" يعطينا انطبعا بكونه "عظيما" بالنظر أولاً إلى اللغة المتكلّم بها وهي اللغة الانجليزية "Major event"، لأنَّ المكان المستهدف – الذي لم تنتهك أراضيه منذ قرنين- تهيمن فيه هذه اللغة نفسها (نيويورك). ينضاف إلى ذلك أنّ هذه اللغة المهيمنة على علاقة وطيدة بنظام وخطاب سياسيين مهيمنين على العالم بأسره، فيصبح الحدث عظيما لعظمة الهيمنة السياسية واللغوية التي تمثّلها أعظم قوّة عسكرية ورأسمالية وعلمية ودبلوماسية وتقنية (داريدا، 2002، صفحة 56).

يذكر داريدا أنّ الصيّن- التي كان متواجدا بها أثناء وقوع الحدث- حاولت أن تحدّ من ضخامة الحدث رغم جسامته أبعاده العالميّة معتبرة إيّاه مجرد "حدث محليّ"، وذلك راجع طبعاً إلى توتّر العلاقات الدبلوماسية آنذاك بين الصين وأمريكا. بيد أنّ الصين رضخت للهيمنة الأمريكيّة وانساقّت هي الأخرى وراء تعظيم الحدث نظراً لمشاكلتها مع مسلميها، لتساهم هي الأخرى فيما أصبح يصطلح عليه "التحالف المضاد للإرهاب" أو "الحرب على الإرهاب" (داريدا، 2002، صفحة 105).

لقد صار هذا الحدث عظيما وإن لم يكن كذلك، بناء على جملة التغيرات الجغرافية والسياسية التي استحدثت عالمياً، بشكل مفاجئ، تلبية لمصالح دبلوماسية واستراتيجية. لذلك نشأ الخلط بين مفاهيم ومصطلحات مختلفة: الخلط بين الاسلام والإرهاب، الخلط بين الاستشهاد والإرهاب، الخلط بين القضية الفلسطينية والإرهاب الدوّلي، وأصبحت عبارة "إرهابي دولي" تهمة تسند لكل أعداء أمريكا، أو من تراهم أعداء، لتتّج بهم في خندق "الإرهاب الدوّلي". فيسمون الحرب

"حرباً نظيفة" بدعوى كونها "حرباً على الإرهاب"، رغم أنّ الفوارق الأصلية بين الأحداث غير صارمة، وغير واضحة، لذلك يتمّ التلاعب بها على جميع الأصعدة (داريدا، 2002، صفحة 106).

يرى داريدا أنّ "الانطباع" هو حدث في حدّ ذاته، ولا يمكن تفكيكه منعزلاً عن لغة الخطاب، أو عن جميع المشاعر والتأويلات (داريدا، 2002، صفحة 56). ويتجاوز الانطباع الأولي القائم على مجرد الشفقة على الضحايا والنقمة على المجزرة نحو الانطباع المؤؤل، الذي تشكّل إعلامياً وصار "حدثاً عظيماً". إنّ ما يجعله "عظيماً" هو كونه مباغت، طارئ وفجئ. لذلك يكون قادراً على خلخلة أفق المفهوم واحداث هزة تشوّش رتابة الأفكار ورتابة الأحداث، "ولهذا السبب تظلّ التساؤلات الفلسفية" قيد الطرح وقد تتخطّى هذه التساؤلات الفلسفة نفسها ما دام الأمر يتعلّق بالتفكير في الحدث" (داريدا، 2002، صفحة 59).

لا يمكن أن نعتبر داريدا هذا الحدث "عظيماً" لونه لم يكن فجئياً، كان من الممكن توقّعه أو أن توقّع حصوله لم يكن أمراً مستحيلاً: من جهة أولى، فقد سبق أن تعرّض البرجان لهجوم بالفرقعات منذ عدّة سنوات، ومن جهة ثانية كان في إمكان أجهزة المخابرات الأميركية أن تتوقّع هذا الحدث. لذلك فإنّ داريدا يتحدّث عن هذا الحدث على أنّه حدث افتراضيّ، ولا يمكن أن نسميه في تقديره "حدثاً عظيماً"، وهذه العظمة المشار إليها في الوصف تدلّ على تقييم كميّ وإن كان المقصود هو عدد الضحايا. هاهنا يبيّن داريدا قلقاً دفيناً "لماذا لا يتمّ إحصاء الموتى بالطريقة نفسها في العالم كلّ؟ هذه الأمور تدلّ إذن على أصداء وتراكمات تاريخية، سياسية، وإعلامية، غير صادقة، غير نقيّة، لذلك فإنّ الولايات المتحدة لم تكن دائماً تقف إلى جانب الضحايا فيما يخصّ حالات القتل الجماعي الأخرى في فلسطين مثلاً. (داريدا، 2002، صفحات 61، 62).

تستدعي تجربة الحدث:

أ- أن يؤثّر علينا،

ب- وأن يدفعنا في اتجاه استيعابه: تفهّمه، التعرّف عليه، التماثل معه، القدرة على وصفه، لكنّ المشكلة يكمن في غياب الحدث الجدير بهذا الاسم. لأنّ حدود فهم الحدث تظلّ مراوغة ومنفتحة على المفاجأة.

ج- فعندما ينعدم الفهم، تنشأ ضرورة إمكانية الوقوع في الخطأ أثناء التأويل.

فإذا تساءلنا: هل أنّ 11 سبتمبر هو حدث فريد حقاً، أجابنا داريدا مؤكّداً أنّ ذلك ليس أمراً مؤكّداً. يكمن هذا "الحدث" من جهة كونه "لا حدثاً" في أنّه "لا يُفهم"، إنّهُ يتألّف من "إنّني لا أفهم"، بمعنى لا أجد ما يدعوني إلى الفهم أصلاً لأنّ الحدث لا وجود له، فقبل الحديث عن "الحدث" (événement) علينا أن نتأكّد من حدوث الحدوث (avènement).

إنّ ما هو عظيم ومريع في الحدث هو عدم فهمه، إنّنا لا نعرف ما...؟ أو من يكون؟ لا نستطيع وصفه ولا تحديده ولا حتّى تسميته باسم من الأسماء. لقد تعطلّت لغة الفهم عندما تعطلّت الآلة

المفاهيمية والدلالية والتأويلية. لابد أن تسترجع هذه الآلة التأويلية نشاطها على نحو من الأنحاء، لأنّ التأويل هاهنا ليس مجرد أداة للبحث عن المعنى بل تصبح أداة لتحديد الصدمة والتخفيف من حدة الحداد. (داريدا، 2002، صفحة 66).

يستحضر داريدا هاهنا مثالا من العلوم الطبيعية مفاده أنّ بعض الكائنات الحيّة لها سلوك غريب يتمثل في "الانتحار الذاتي" أو في "التدمير الذاتي": لأجل المحافظة على مناعتها الطبيعية، فتبدأ في تدمير نفسها بنفسها لتحصّن نفسها ضدّ مناعتها الداخلية. يقدّم داريدا هذا المثال ليفسّر المراحل الثلاث التي مرّت بها الولايات المتحدة الأمريكية للوصول إلى مرحلة الحصانة الذاتية: من الحرب الباردة، نهاية الحرب الباردة، وصولا إلى توازن الرعب. فعندما يتمّ اختراق أراضي دولة لها السيادة على جميع الدّول، فإنّ ذلك يُحوّل لها أن تصبح وصيّة على العالم بأسره. فتمتّكن الولايات المتحدة من جعل العالم كلّه يصادق على وحدة مزعومة بين القوّة والقانون، لتمثّل القوّة العظمى للقانون وخطابه (داريدا، 2002، صفحة 67). فهي التي مهّدت لحصول ما حصل، هي التي مهّدت الأرض والمناخ السياسي والعسكري المناسب لظهور ما يسمّى بالإرهاب، ومن يمثّلونه، حتى ينقلب السحر على الساحر. (داريدا، 2002، صفحة 69).

لا يمكن أن يكون هذا الحدث عظيما إلّا لكونه متعلّقا بالآتي، هو جرح المستقبل الذي يتّرف، هو الرعب من القادم. لا يتعلّق بالآن الحاضر، ولا بالآن الماضي، بل بالآن القادم. "إنّ حدث عظيم لأنّ الجرح سيظلّ مفتوحا (...) فالسلاح الذي يجرح يُخلّف ندبة في الوعي تظلّ مفتوحة إلى الأبد. ولكن ما يُخيف في هذا السلاح هو أنّ يأتيّا من المستقبل، من مستقبل مجهول تماما لدرجة أنّه يتعدّر تعريفه والإشارة إليه" (داريدا، 2002، صفحات 71، 72).

هذا الحدث "اللا-حدث" يهدّد المستقبل في المطلق، هو صدمة للعالم نفسه. إنّ تهديد حامل لصدمة نهاية الحرب الباردة أي يمثّل المرحلة الثانية من الحصانة الذاتية للولايات المتحدة الأمريكية. لقد أدّت هذه المرحلة إلى تشكيل شبكات الإرهاب الإسلامي المجهّزة، وانتشرت الأسلحة النووية انتشارا عشوائيا لإثارة الفوضى وصعوبة تحديد المسؤول. وصارت مرحلة توازن الرعب تبارزا بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، ضربا من اللعبة الخارقة، لعبة الحسابات المقبلة. (داريدا، 2002، صفحة 73).

إنّ ما لا ينسى هو ولادة كلمتين مربيتين "الحرب على الإرهاب"، هاتين الكلمتين مربيتين في تقدير داريدا لأنّهما "تعملان على إحياء أسباب الخطر الذي تزعم القضاء عليه في الأمد القصير والطويل كذلك" لذلك فهما ترسمان الآثار الانحرافية للحصانة الدّاتية. (داريدا، 2002، صفحات 75، 76). بيد أنّ المراحل الثلاث لا تنفصل عن بعضها البعض بل تتراكم فيما بينها، أو هي الشيء نفسه في الواقع الحيّ كما في واقع اللاوعي. فيتولّد عنها عدّ لامرئيّ، مجهول المصدر ومجهول النسب،

ومع ذلك فإنّه يمثّل "الشّر المطلق"، لكونه "جرح المستقبل الأكبر"، هذا المكبوت الذي يعود على هيئة "لا-حدث" يدّعي أنّ "الحدث العظيم"، هو الإرهاب. (داريدا، 2002، صفحات 75-77).

إزاء هذا التشويش الدلالي، يدعون داريدا إلى إعادة النظر في جميع الظواهر التي ترتبط بهذا "الحدث" والتي نحاول تأويلها على أنّها أفعال إرهابيّة، كما يجب إعادة النظر في جميع التدخلات في أفعال الحرب التي تسمّي نفسها تدخلات من أجل حفظ السّلام. إنّ ذلك لا يكون ممكنا إلّا من خلال تأسيس تحولات مفاهيميّة، دلاليّة، معجميّة، وبلاغيّة، "لأنّ القوى المهيمنة هي القوى التي تتمكّن في ظروف معيّنة من فرض تسمياتها ومن ثمّ فرض التأويل الذي يناسبها" لتضفي عليه الشرعيّة والقانونيّة. (داريدا، 2002، صفحات 86، 87).

2- الانطباع المؤلّ "الحدث المعنى":

يُحيلنا التفكير في الحدث مع داريدا في حوار إلى مفهوم "الحدث المعنى" في معناه الهيدغري (Ereignis) والذي تبلور ضمن مؤلّفه (Beiträge Zur Philosophie : Vom Ereignis, Vittorio Klosterman, Frankfurt am Main, 1989).

وقد ترجم هذا المؤلّف إلى الفرنسيّة تحت عنوان:

Apports à la philosophie : De l'avenance (ou de l'Événement), Paris, Gallimard, 2013.

يُمثّل هذا الأثر بداية أخرى للفكر الهيدغري، من جهة العودة إلى أصول الميتافيزيقا، إلى الحدث، حدث انبجاس الوجود. ضمّ هذا الأثر عدّة محاولات أخرى سمّيت "المحاولات غير المنشورة" وتعود إلى المرحلة الممتدّة من 1936 إلى 1940، ونشرت بعد خمسين سنة من كتابتها.

يتحدّث هيدغر عن "الحدث" كذلك من خلال عبارات "Es gibt sein" (il ya être)، ويظنّ هذا "الحدث" (Ereignis) مختبئا ومحتجبا خلف "الدّازين" (Dasein) من جهة كونه "موجودا في العالم" (Etre-au-monde)، فيكون هذا "الحدث" ضربا من "اللاّ مفكّر فيه" (l'impensé) الذي نسيته الميتافيزيقا. يتشكّل "الحدث" ضمن الـ"Beiträge"، تشكّلا فريدا، ويرسمه هيدغر على أنّه تمفصل (articulation) من التمثيلات المكوّنة لصرح الوجود، التي ترتبط ببعضها البعض ترابطا ضروريا، إذ ليست هذه التمثيلات لحظات مختلفة أو متعاقبة وليست كذلك تمفصلات لعمق واحد ومشترك. فالوجود لا عمق له، ولا صيرورة، كما أنّه ليس عرضا واقعا لبنية قائمة. إنّ هذه التمثيلات هي ثنانيا عبور، أو دروب مؤدّية نحو الحدث نفسه.

إذا كان الحدث بالنسبة إلى داريدا هو الذي لم يحدث، فإنّه بالنسبة إلى هيدغر هو حدث نسيان الوجود، لذلك فإنّ وجه الصّعوبة في كلتا الوضعيتين هو عسر التوقع أمام الحدث من جهة ماهو غيب أو من جهة ماهو نسيان، لأنّنا لا نهيمن عليه، ولا نتملّكه، وبالتالي لن نتمكّن من فهمه.¹

أما بالنسبة إلى داريدا فإنّ الحدث هو أمر كائن بين التملّك والمصادرة: التملّك هو دلالة على امتلاكه من جهة كونه خصوصيّة (Eigen) أو هو يدلّ على ضرب من نزع هذه الخصوصية ومصادرتها في معنى (Enteignis). وفي كلتا الحالتين يمرّ الحدث بتجربة الانفتاح على التجربة فإمّا أن يصبح أمرا خصوصيًا وإمّا أن تقع مصادرتة وافتكاكه.

لكن يبدو أنّ "الحدث" سيظلّ مشكلا لكونه غير قابل للتملّك لا على جهة الخصوصية أو الملكية الذاتية ولا جهة المصادرة والافتكاك. لأنّ سيظلّ دوما في حدوث دائم (avènement)، ومتعلّقا بالفجأة والمفاجأة إلى الحدّ الذي يصبح فيه الفهم أمرا من الأمور المعلّقة. فيكون الحدث هاهنا: هو "ما لم يحدث بعد"، أي ما لم يكتمل حدوثه، وذلك يدلّ على أنّ الحدث بالنسبة إلى داريدا هو أمر لا يوجد وإن كان "نسيان الوجود" هو في حدّ ذاته "حدثا" وإن كان الوجود هو الحدث الأعظم الذي يتعلّق به حدث النسيان. إنّ ما هو منسيّ هو ما لا يوجد، أي غير حادث، أي أنّه أمر لا يتعلّق بما هو واقعيّ البتّة: ذلك هو حال الحادي عشر من سبتمبر، تاريخ لا يدلّ لا على حدث ولا على حدوث، مجرد تاريخ يدلّ على صدمة مقبلة، على قلق في المستقبل.

إذن يتساءل داريدا هل يمكن قول ما لم يحدث؟ إن كان هذا الحدث لا وجود له فهل يمكن قوله؟ هذا السؤال هو سؤال طرحه داريدا نفسه نشر ضمن مؤلّف جماعي بمناسبة تكريمه في ندوة منريال (à Séminaire de Montréal, Hommage à Derrida, « Dire l'événement est-il possible ? », J.Derrida, Paris, L'Harmattan, P.84).

لا يجيب داريدا عن هذا السؤال لا بالنفي ولا بالإيجاب، لأنّ الجواب بالنسبة إليه يفترض معرفة الحدث أوّلا، فلا يجيب عن مضمون السؤال بل عن السؤال نفسه. فيقول: ثمة في فحوى السؤال ضرب من الإجابة بنعم، و"نعم" أخرى...²

يتبيّن داريدا أنّ عصرنا هو عصر التفكير في الحدث من خارج، فنحدّث عنه وكأنّه أمر خارج عنّا، مغاير لنا، لكونه يقع خارجنا. إنّ الحدث لا يتماهى مع نفسه، لا يمكن حصره أو تحديد من يكون أو ما يكون ولا حيث يكون، لكون يُصنع ويحدث ضمن التكراريّة نفسها، ضمن الضياع وضمن النسيان. لذلك فإنّه لا يمكن فهمه بل تفكيكه وإن كان التفكيك ناتجا عن فكر متفرد أي عن حدث التفرد نفسه.

إنّ الحدث إمّا أن يكون حدثا مبرمجا ومؤطّرا، يصدر عن انتظام مسبق ومحدّد سلفا، وهذا الحدث هو الذي يُسمّى "الحدث الخاطئ" (un faux événement)، هو "وهم" الحدث أو الحدث "الوهم" الذي لا يحمل لا توقيعا ولا سياقا (داريدا، الحدث، التوقيع، السياق، ضمن هوامش الفلسفة). يمكن تكرار هذا "الحدث الخاطئ" ويمكن إعادة إنتاجه مرّات ومرّات.

أما "الحدث الحقيقي" فهو حدث لا يمكن تكراره وإن كان مرتبطا بتاريخ ما، إذ له قوّة فردية مخصصة تجعله حدثا متفردا، يُقاوم ويصمد أمام الفكر. إنّ الحدث الحقيقيّ هو "ما يحدث"

ويُحدث الاختلاف، هو الآخر اللامتجانس، الذي يفتح فضاء مختلفا. إنّه القادر على إحداث المفاجأة وعدم الفهم، يقول داريدا: "وهو الذي في أثناء حدوثه بمقدوره أن يفاجئي وأن يفاجئ وأن يعلّق الفهم نفسه. الحدث قبل كلّ شيء، هو ما لا أفهمه بشكل أولي وأزيد على ذلك بقولي: إنّ الحدث يكمن قبل كلّ شيء في ألاّ أفهم. فهو يتألّف من أنني لا أفهم، بمعنى أنني لا أفهم وأنني لا أفهم بشكل أولي، أي حقيقة أنني لا أفهم، أي عدم فهمي" (داريدا، "ماذا حدث في 11 سبتمبر؟"، 2001، ص. 59-60).

خاتمة:

ثمة فرق شاسع بين حدوث الحدث فعلا وحدثه لغة، وقد عرفت مسألة "الحدث وعلاقته بمفهوم الظاهرة انتشارا واسعا في الكتابات الفرنسية في العقود الأخيرة. لم تكن موضوع العديد من التحليلات المحددة فحسب، لكنها افترضت أيضاً قيمة نموذجية، إلى درجة أنها صارت مرتبطة ارتباطاً جوهرياً بجوهر الفينومينولوجيا، أي مفهوم الظاهرة.

تكمن قيمة قراءة داريدا لحدث "11 سبتمبر" في تفكيك ظاهرة الحدث لغة وتمييزها عن الحدث فعلا، كما أنه نزع القناع عن الأوهام التي تحولت إلى حقائق وحكمت عملية تأويل الحدث واستقباله، كما أرادت تغيير السياق من اللغوي والفلسفي إلى السياسي، لتظليل الفهم وتظليل البنى التمثيلية للإسلام.

قائمة المصادر والمراجع :

أولاً: المراجع باللغة العربية

1. داريدا، "ماذا حدث في 11 سبتمبر؟" حديث دار في 2 أكتوبر 2001 مع جيوفانا بورادوري، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2002.
2. داريدا، هوامش الفلسفة، ترجمة منى طلبة، بيروت، لبنان، التنوير، 2019.

ثانياً: المراجع باللغة الأجنبية

3. Derrida, *Marges – de la philosophie*, Paris, Les Éditions de Minuit, 1972.
4. Derrida, « Dire l'événement est-il possible ? », Séminaire de Montréal, Hommage à J.Derrida, Paris, L'Harmattan
5. G. Guest, « Der Ereignis, L'Événement même », Texte paru dans le n°21 (mars 2005) de la revue *Ligne de risque*, à l'invitation de Yannick Haenel et François Meyrommis et repris dans le volume collectif, *Ligne de risque*, Paris, Gallimard, 2005, pp.306-372.
6. Heidegger, *Apports à la philosophie : De l'avenance (ou de l'Événement)*, Paris, Gallimard, 2013.

7. Heidegger, *Beiträge Zur Philosophie : Vom Ereignis*, Vittorio Klosterman, Frankfurt am Main, 1989.

¹ لقد تناول (Gérard Guest) مفهوم الحدث عند هيدغر ضمن محاضرة عنوانها "الحدث نفسه"، أو "الحدث عينه":

G. Guest, « Der Ereignis, L'Événement même », Texte paru dans le n°21 (mars 2005) de la revue *Ligne de risque*, à l'invitation de Yannick Haenel et François Meyrommis et repris dans le volume collectif, *Ligne de risque*, Paris, Gallimard, 2005, pp.306-372.

² Derrida, « Dire l'événement est-il possible ?, Séminaire de Montréal, Hommage à J.Derrida, Paris, Le Harmattan, P.84 : « Il y a donc au cœur de la question un certain « oui », un « oui », un « oui », à l'autre qui n'est peut-être pas sans rapport à un « oui » à un événement, c.à.d. un « oui » à ce qui vient, au laisser venir l'événement c'est aussi ce qui vient, ce qui arrive. (...) il y a un « oui » à l'événement ou à l'autre, ou à l'événement comme autre ou venue de l'autre, dont on peut se demander si justement cela se dit, si ce « oui » se dit ou « non ».